**شِعر الصّعاليك:**

**الصّعلكة:**

**من النّاحية اللُّغوية، مأخوذة من قولهم: "تصعلكت الإبل" إذا خرجت أوبارها وانجردت، وصعلكه: أضمره وأدقّه (أساس البلاغة: الزمخشري)، ومن هذا الأصل اللغوي أصبح الصُّعلوك هو: الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد، الفقير الذي يُواجه الحياة وحيداً بعدما تجرّد من المال، وأُغلقت أبواب الحياة في وجهه، ولم تقف اللّفظة عند معناها اللُّغوي بل نجد استعمالاتها في أشعار طائفة من الشُّعراء الجاهليين أُطلق عليهم اسم "الشُّعراء الصعاليك". وشعر الصّعاليك هُو مُصطلحٌ :يصف ظاهرة فكريةً ونفسية واجتماعية وأدبية لطائفة من شُعراء العصر الجاهلي، تجمعُهم نظرة ورؤية لحياةٍ مُشتركة ونمطٍ فكري واحد، فاتّسمت أشعارهم بمعالم فنية تختلف عن الظّواهر الفنية الأُخرى السائدة في الشِّعر الجاهلي، وقد تطوّر مُصطلح الصّعلكة، وأصبح يدلُّ على طائفةٍ من الشُّعراء امتهنوا الغزو والسّلب والنّهب.**

* أعلام الصّعاليك: **إنّ المُتتبِّع لظُروف نشأة الصعاليك وحياتهم وأخبارهم، يُمكن أن يقسِّمهم إلى ثلاث فئات باعتبار الحياة الاجتماعية:**
1. فئةُ الخُلعاء والشُّذّاذ: **وهُم الذين أنكرتهُم قبائلهم، وتبرأت منهم بفعل أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبيلة، فأصبحت لا تُدافع عنهم ولا تُطالب بحقِّهم مثل: حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية.**
2. فئة أبناء الحبشيات السود: **الذين ورثوا سواد أمهاتهم، فلم يعترف لهم آباؤهم العرب، ولم يقبلوا بانتسابهم إليهم، فدماؤهم العربية غير صافية، مثل: تأبّط شراً، والسُّليك بن السُّلكة، والشّنفرى (525م- 70ق.هـ).**
3. فئة الفُقراء والمُتمرِّدين: **وهُم الذين احترفوا الصّعلكة احترافاً لظُروف اقتصادية مُختلفة، ويُمثِّلهم عروة بن الورد العبسي سيِّد الصعاليك، ومن الْتَفّ حوله من فقراء العرب، وقد تكون قبيلة برُمّتها مثل قبيلتي: "فهم" و"هذيل".**

**هذه الفئات انفصلت عن قبائلها وانقطعت إلى الصحراء حتّى شُبِّهت بالذِّئاب الجائعة، فسُمِّيت ب "صعاليك العرب وذؤبانُها"، وقد سلكت طريقاً صعْباً في الحياة.وما يجمع بين هذه الفئات الثائرة هو : الفقر والتشرُّد والعُزلة وغياب النظام، لعدم اعترافهم بالنِّظام السائد في القبيلة وإيمانهم أنّ الحق وقْفٌ على القُوّة، وهي في انفصالها عن قبائلها مُضطرةً إلى الاحتماء بقبائل أُخرى أو التيه في رمال الصّحراء وأغوارها وكُهوفها وجبالها بحثاً عن انتماء جديد مُغاير وحياةٍ كريمة، ولن يتحقّق ذلك إلاّ بالإغارة والسّلب لبُخل السّماء وجدْب الأرض، بالإضافة إلى الصِّراعات القبلية وما تُخلِّفه من فقر وجُوع وزوال معالم الحياة، ومن هُنا كان الصُّعلوك الفقير رهن جُوعه ورُعبه ووحْشته، مما دفعه إلى العناية بقوته البدنية في الكرِّ والفرّ، وصُنع التِّرس والرِّماح والسُّيوف لوقف الغارة والنّهب، واتّخذ من قِمم الجِبال وسيلةً للترقُّب والإغارة على القوافل التِّجارية، واعتمد في غاراته على المُباغتة وقف الفجر أو مُنتصف اللّيل حتّى لا ينكشف أمره.**

**وموضوعات شِعر الصّعاليك كثيرةٌ ومُتنوِّعة، والدّارس لما تستوقفه تلك العِناية المُتميِّزة لهُم بمضمون حياتهم وواقع حالهم، وهذا يُخالف توجُّه الشُّعراء القبلي عصرهم، وقد أوجدوا مُعجماً شعرياً تغلُب على ألفاظه ذكر المُعاناة والجُوع وظُلم الحياة وقساوة البيئة، وارتبطت صُورهم الشعرية بمظاهر البيئة وطبيعة الواقع المُعاش.**

**يقول السّليك بن السليكة في وصف الجُوع:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وَمَا نِلْتُهَا حَتَّى تصعْلكْتُ حِقْبَةً** |  | **وكِدْتُ لأَسْبَابِ المنِيّةِ أعْرِفُ** |
| **وحَتَّى رأيْتُ الجُوعَ بالصَّيْفِ ضرّني** |  | **إذ قُمتُ تغشانِي ظِلالٌ وأَسْدُفُ**  |

**وقد عبّر الصُّعلوك عن رفضه لقيم القبيلة البالية، القائمة على الظُّلم والطّبقية، حيث يقول عُروة بن الورد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وسائلةٌ أين الرّحيلُ وسائلٌ |  | ومن يسألِ الصُّعلُوكَ أين مذاهبُه |
| مذاهبُهُ: أنّ الفجاجَ عريضةٌ |  | إذا ضنَّ عنهُ بالفعالِ أقارِبُهُ |

**فهو ينتقد سلوك أقرب النّاس إليه،وبالتالي يكشف عن روح مغتربة وسط أهلها لا لشيء إلّا للنظام الجائر الذي يحكم القبيلة ويحدّد الأدواروفقا لمبدأ القوّة والجاه والنسب وصفاء العرق.**

**والصُّعلوكُ في احتمائه بالطّبيعة يجِدُ بديلاً عن أهله وجيرانه، حيث يقول الشّنفرى:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولي، دونكم أهلونَ: سِيْدٌ عَمَلَّسٌ |  | وأرقَطُ زُهلولٍ وعُرفاءُ جيْأَلُ |
| هُم الأهلُ، لا مُستودعُ الشّر ذائعٌ |  | لديهم، ولا الجانيّ بما جَرَّ، يُخْذَلُ |

**ويبدو أنّ الصعاليك خَبروا الحياة، وتمرّسوا بتجاربها ولاحظوا ذلك التفاوت الطّبقي، وما يُخلِّفه من إحساس بالفقر والهوان والضّعة، فالصُّعلوك لا يقف مع أقرانه موقف النّد، ولا يُعامل كما يعاملون، فاستنكره الفقر وسعى بكلّ ما أوتي من قوّة إلى إقامة التوازن الحياتي الذي يقيه شرّ الوقوع في العوز والحرمان، وذلك لا يكون إلاّ باكتساب المال بشتّى الوسائل.**

**يقول عروة بن الورد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دعيني للغِنى أسعى فإنِّي |  | رأيْتُ النّاسَ شرُّهُم الفقيرُ |
| وأبعدُهُم، وأهونُهُم عليهم |  | وإنْ أمسَى لهُ كرَمٌ وخَيْرُ |
| ويُقصيهِ الدّنِيُّ وتزْدَريهِ |  | حليلتُهُ، وينهرُهُ الصَّغيرُ |
| ويلفى ذو الغِنى وله جَلاَلُ |  | يكادُ فُؤادُ صاحِبِهِ يطيرُ |
| قليلٌ ذنْبُهُ والذّنبُ جمٌّ |  | ولكن للغنيِّ رَبٌّ غفُورُ |

**ونجِدُ بعض القصائد المُطوّلة حوارُ الصّعاليك مع المرأة المحبوبة، التي تُطالبه بالحفاظ على حياته، في حين يُبدي الشاعر في المُقابل فُروسيته وبُطولته، وبالتالي يُقابل جزعها بثقة في النّفس، واعتدادٍ بالقُوّة، حيث يقول عمرو بن برّاقة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تقولُ سُلَيمى لا تُعْرِضْ لِتُلْفَةٍ |  | وَلِيْلُكَ عن لَيْلِ الصّعالِيك نائِمُ |
| وَكَيْف يَنَامُ اللَّيْلَ من جُلُّ مالِهِ |  | حُسامٌ ككَوْنِ المِلحِ أبيضُ صارمُ |
| ألمْ تَعْلَمِي أنّ الصّعالِيك نومُهُمُ |  | قليلٌ إذا نامَ الخُلِيُّ المُسالِمُ |

**ومن النّاحية الفنية، يُمثِّل شعرُ الصّعاليك خُروجاً فنِّياً عن نمط القصيدة العربية القديمة، فشعرُهُم مُعظمه مقطوعات، واستغنوا عن الغزل الحِسِّي، ووصف النّاقة ومدح الأسياد، بل اهتمُّوا بتصوير حياتهم الخاصة والمفاخرة بأنفسهم وخلّانهم، حتى غدا شعرهم واقعياً مُمعناً في الإنسانية والانفراد والتوحُّش والخيبة والمرارة.وانفرادهم ببعض الموضوعات كالحديث عن الجوع والفقر والقلق والإغارة والعدْوِ.**